قراءة تحليلية نقدية لكتاب
(النظرية النقدية) لستيفن إريك برونر

إعداد

يارا عبد الرحمن محمد المحيميد

مرشحة لدرجة الدكتوراه بجامعة القصيم

yaraalmohaimeed@gmail.com

١٤٤٦هـ – ٢٠٢٤م

قراءة تحليلية نقدية لكتاب (النظرية النقدية) لستيفن إريك برونر

يارا عبد الرحمن محمد المحيميد
جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية .
البريد الإلكتروني للباحث الرئيس: yaraalmohaimeed@gmail.com

ملخص البحث:

تحتوي هذه الورقة على أربعة عناوين رئيسة؛ تناول العنوان الأول: مقدمة عامة تشتمل على تمهيد للكتاب، وقيمته العلمية، وتعريف بالمؤلف. وقدم العنوان الثاني ملخَّصًا للكتاب، مستعرِضًا المقدمة، وفصول الكتاب ومحتواها. فيما خصَّص العنوان الثالث لنقد الكتاب؛ متناولًا الإيجابيات والسلبيات. أما العنوان الرابع والأخير وهو خاتمة موضحًا فيها رأي الباحثة في الكتاب.

أما عن آلية بناء الورقة؛ فقد تمَّ بناؤها على مرحلتين؛ المرحلة الأولى بواسطة البحث عن المنهجية المناسبة لكتابة الورقة، وبعد مرحلة من التقصي والبحث العلمي وقع الاختيار على [منهجية النقد] كإحدى منهجيات البحث العلمي الشائعة، والتي تُعرف بأنها: "أمر يخضع للفحص والتمييز، وطرفان يصدر أحدهما الحكم، والآخر يستقبله"، كما تُعرف بأنها دراسة الأعمال، وتفسيرها، وتحليلها، وموازنتها بغيرها المشابه لها، والكشف عما فيها من جوانب القوة والضعف، والجمال والقبح، ثم الحكم ببيان قيمتها، ودرجتها، ومن [منهجية النقد العامة] تم انتقاء أحد أساليبها التفصيلية؛ ألا وهو أسلوب [منهجية النقد النسقي]، وهو دراسة النص من خلال النص، بعيدًا عن السياقات الخارجية، وتأثيرات البيئة التي أنتجت النص. أما المرحلة الثانية؛ فهي الرجوع إلى بعض الأدبيات العلمية الأجنبية في كيفية كتابة الورقة العلمية، حيث تُنوِّه الباحثة إلى أنها لم تعتمد على طريقة محددة في بناء الورقة العلمية؛ وذلك بناء على توصية مبادرة دار إلزيفر Elsevier الهولندية في عام ٢٠١٣ في مقالها العلمي المعنون بـ[ورقتك على طريقتك: أن تصبح أكثر صداقة مع المؤلف]، وهي دعوة للتوسع بقبول الأوراق العلمية بشكلها الأصلي الذي كتبه المؤلف دون اتباع إجراءات مقننة للأوراق العلمية بناءً على الاشتراطات الخاصة للمجلة الناشرة من حيث نوع الورقة العلمية، سواء كانت [بحثًا، مراجعة، تقريرًا]، والالتزام فقط بالخطوط العامة الشائعة لبناء الورقة العلمية؛ إذ يساعد ذلك على جعل الأبحاث أكثر وضوحًا وفقًا للبناء المنطقي الذي شكَّله المؤلف ابتداءً، وكذلك تسهيلًا لعملية النشر العلمي، والابتعاد عن بيروقراطية عملية النشر التقليدية من خلال توجيه الاهتمام إلى جودة الورقة العلمية، وليس حصر الانتباه على شكله،، ومن هنا ستحاول الباحثة بناء هذه الورقة وفقًا لهذه المبادرة؛ بما يجعلها واضحة المحتوى، وعميقة التناول قدر الإمكان.

الكلمات المفتاحية: النظرية النقدية، ستيفن إيريك برونر، منهجية النقد، التربية النقدية، فلسفات معاصرة.

A Critical Analytical Reading of Stephen Eric Bronner's Book 'Critical Theory

Yara Abdulrahman Mohammed Al-Mohaimeed
Qassim University, Kingdom of Saudi Arabia
*e-mail of corresponding author: yaraalmohaimeed@gmail.com

Abstract:

This paper consists of four main sections. The first section provides a general introduction, including a preface to the book, its scientific value, and an introduction to the author. The second section presents a summary of the book, reviewing the introduction and the content of its chapters. The third section is dedicated to critiquing the book, addressing both its strengths and weaknesses. The fourth and final section concludes with the researcher's opinion on the book.
The paper was constructed in two phases. The first phase involved researching the appropriate methodology for writing the paper. After a period of investigation and scientific research, the "critique methodology" was chosen as one of the common scientific research methodologies. It is defined as "a matter subject to examination and distinction, with one party issuing judgment and the other receiving it." Moreover, it is defined as "studying works, interpreting, analyzing, comparing them with similar ones, revealing their strengths and weaknesses, beauty and ugliness, then judging by stating their value and degree." From the general critique methodology, one of its detailed approaches was selected: the "systemic critique methodology," defined as "studying the text through the text, away from external contexts and the influences of the environment that produced the text". The second phase involved referring to some foreign scientific literature on how to write a scientific. The researcher notes that she did not rely on a specific method in constructing the scientific paper, based on the recommendation of the Dutch Elsevier initiative in 2013 in its scientific article titled "Your Paper, Your Way: Becoming more author friendly." This is a call to expand the acceptance of scientific papers in their original form as written by the author, without following standardized procedures for scientific papers based on the specific requirements of the publishing journal in terms of the type of scientific paper, whether it is [research, review, report], and adhering only to the common general guidelines for constructing a scientific paper. This helps make research clearer according to the logical structure initially formed by the author, as well as facilitating the scientific publishing process and moving away from the bureaucracy of the traditional publishing process by focusing attention on the quality of the scientific paper rather than its form. From here, the researcher will attempt to construct this paper according to this initiative, making it clear in content and as deep in approach as possible.

Keywords: Critical Theory, Stephen Eric Bruner, Critique Methodology, Critical Education, Contemporary Philosophies.

مقدمة:

تحت هذا العنوان ستسرد الباحثة خمس نقاط مهمة؛ أولاها التمهيد للكتاب وأهميته، ثانيتها المعلومات الفنية للكتاب، ثالثتها الإشارة إلى فكرة الكتاب المركزية، رابعتها التعريج على القيمة العلمية للكتاب، وانتهاءً بخامستها التي سيتم فيها استعراض موجز تعريفي بمؤلف الكتاب.

في التمهيد للكتاب وبيان أهميته؛ يبحث هذا الكتاب في اتجاه مهم من اتجاهات الفلسفة المعاصرة؛ ألا وهو النظرية النقدية، حيث تعدُّ النظرية النقدية أحد تطورات النظرية الاجتماعية التي تحاول تفسير الأحداث، والصراعات، والتحولات الحادثة في المجتمعات؛ وذلك وفق تصنيف كريب (١٩٩٩) الذي بوب النظرية النقدية كطور أخير في تدرج النظريات الاجتماعية، وقد وجهت النظرية النقدية اهتمامها لأزمة استلاب الإنسان المعاصر، سواءً من قِبل نظام الحياة المعاصر، وشكل المجتمعات الحديثة بأبنيتها الاجتماعية، والأنظمة الشمولية بقطبيها الشيوعي والرأسمالي، ومن هنا سعت النظرية النقدية بشكل رئيس إلى تسليط الضوء على آليات إخضاع الإنسان المعنوية والمادية المباشرة وغير المباشرة، وكيفية مقاومتها، ابتداءً من تحرير الوعي، وانتهاءً باقتراح آليات المقاومة العملية على أرض الواقع، ومن ثم يأتي هذا الكتاب [النظرية النقدية: مقدمة قصيرة جدًّا] كأحد الجهود المركزة في الإضافة والتبيان للنظرية النقدية تأسيسًا وتفصيلًا.

ومن حيث المعلومات الفنية للكتاب؛ فنظرًا لكون الكتاب مترجمًا؛ فإن الباحثة استحسنت استعراض كلٍّ من الكتاب الأصلي، والكتاب المترجم، وعرضهما في هيئة جداول مدعومة بالصور على حدة، متضمنةً [عنوان الكتاب، وصورة الكتاب، واسم المؤلف، والمراجع، ولغة الكتاب، وعدد صفحات الكتاب، ودار النشر، ومحتويات الفهرس]؛ وذلك كالتالي:

معلومات الكتاب الأصلي

عنوان الكتاب	Critical Theory: A Very Short Introduction
اسم المؤلف	Stephen Eric Bronner صورة الكتاب
سنة النشر	٢٠١١
لغة الكتاب	اللغة الإنجليزية
عدد صفحات الكتاب	١٣٠
دار النشر	Oxford University Press

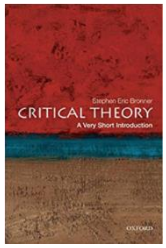

محتويات الفهرس	اشتمل الفهرس على [قائمة الرسوم التوضيحية، ومقدمة أولية عن النظرية النقدية، وثمانية فصول، ومراجع الكتاب للاستزادة، ومراجع الصور].

معلومات الكتاب المترجم

عنوان الكتاب	**النظرية النقدية: مقدمة قصيرة جدًّا**
اسم المترجم	**سارة عادل صورة الكتاب**
اسم المراجع	**مصطفى فؤاد**
سنة النشر	**٢٠١٦**
لغة الكتاب	**اللغة العربية**
عدد صفحات الكتاب	**١٢٢**
دار النشر	**مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**
محتويات الفهرس	اشتمل الفهرس على [مقدمة أولية عن النظرية النقدية، وثمانية فصول، وقراءات إضافية، ومصادر الصور].

وتتلخص فكرة الكتاب المركزية في تقديم نقد مُركَّز عن النظرية النقدية، ابتداءً بكيفية نشأتها، وماهية الظروف السياسية والفكرية التي انبثقت منها، والتعريج على الشخصيات والأعمال والفلسفات المؤثرة عليها، وشرح المنطلقات الأساسية للنظرية على غرار الاغتراب، والتشيؤ، وجدل التنوير، والمعمل اليوتوبي، والوعي السعيد، والرفض العظيم، مع التنويه إلى أن هذا النقد انقسم إلى نقدين؛ نقد تعقيبي في نهاية الفصول، ونقد شامل لمجمل النظرية النقدية في الفصل الأخير من الكتاب.

أما من حيث القيمة العلمية للكتاب؛ فيمكن الاستدلال على القيمة العلمية للكتاب بواسطة ثلاثة استدلالات؛ أولها بواسطة دور النشر، فمن حيث الطبعة الإنجليزية فقد أُصدر الكتاب من قِبل مطبعة جامعة أكسفورد الأمريكية لسلسلة [مقدمة قصيرة جدًّا]، ومما يميز هذه السلسلة هو انتقاء مؤلفين عادة ما يكونون علماء كبارًا في مجالاتهم، أما الطبعة العربية؛ فقد صدرت عن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة المصرية، وتتميز الدار بأنها غير ربحية؛ إذ تسعى لنشر الكتب النوعية في العالم العربي، سواء كانت مترجمة، أو مكتوبة باللغة العربية؛ وذلك من خلال الاتفاق مع المؤلفين، وتنازلهم عن حقوق الكتاب، أو شراء الدار لحقوق النشر، كما أن عملية انتقاء ونشر الكتب تخضع لعملية مراجعة من قِبل لجنة مختصة لقبول النشر تحت اسم الدار؛ وهذا يُشير بمجمله إلى القيمة النوعية التي يمتاز بها الكتاب، سواء في العالم الناطق بالإنجليزية، أو العالم الناطق بالعربية، كما يمكن الإشارة إلى دلالتين إضافيتين؛ ألا هما صدور طبعة ثانية للكتاب في ٢٠١٧، وهي طبعة منقحة ومزيدة بفصلين تحت عنوان [النظرية النقدية

والحداثة] و[المهام غير المنجزة: التضامن والمقاومة والمجتمع العالمي]، بالإضافة إلى نسبة اقتباس الكتاب في الباحث العلمي لمحرك بحث قوقل والتي بلغت [٤١٠] اقتباسات تنوعت ما بين الكتب والأبحاث.

ننتقل بعد ذلك للتعريف بالمؤلف؛ إذ إن إدراك خلفية المؤلف أمر جوهري لفهم النص، ونقده؛ بل يمكن القول إن خلفية المؤلف تُشكِّل الجزء الخفي من النص، والذي لا يمكن فهم تركيبه، أو دقائقه، أو تناقضاته إلا بواسطة التعرف على هذه الخلفية، ومؤلف الكتاب هو ستيفن إريك برونر، وهو أمريكي المولد، والنشأة، ويُعدُّ باحثًا أكاديميًّا، وعالمًا فيلسوفًا، وممارسًا ميدانيًّا، ومن أهم إسهاماته العلمية تطوير النظرية السياسية، وربطها بالمخاوف السياسية، وله جهود تأسيسية في هذا الميدان، وقد تأثر بشكل خاص بالنظرية النقدية، والفلسفة الوجودية، والفلسفة الاشتراكية الليبرالية، كما حاز على عددٍ من المؤهلات التي ساعدت في تكوين شخصه الفكري؛ فهو حاصل على درجة البكالوريوس والماجستير في تخصص الآداب في العلوم السياسية، وحصل بعدها على درجة الدكتوراه في الفلسفة السياسية.

وقد امتدت مسيرته المهنية في السلكين التعليمي والدبلوماسي بوظائف متعددة؛ حيث عمل في جامعة روتجرز في الولايات المتحدة، ثم أستاذًا زائرًا بجامعة لايبزيغ في ألمانيا، ويشغل حاليًّا منصب مدير العلاقات العامة في مركز الإبادة الجماعية وحقوق الإنسان بجامعة روتجرز، كما يشغل منصب المدير المشارك في المجلس الدولي للدبلوماسية والحوار، بالإضافة إلى عمله كرئيس للجنة التنفيذية مع الأكاديميين الأمريكيين من أجل السلام، كما كان عضوًا في عددٍ من المجالس واللجان؛ منها: المجالس الدولية في مكتب الأمم المتحدة بجنيف، ومنتدى باريس الدولي للسلام، ومنتدى الدوحة الدولي، وكان عضوًا مشاركًا في الوفود الدولية الأممية التي تعالج مناطق الصراع في العالم، ونتيجة لجهوده العلمية والميدانية حاز على جائزة [تشارلز مكوي] من الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية في ٢٠٠٥، وكذلك جائزة منظمة [ميبس] المعنية بتعزيز السلام في الشرق الأوسط في ٢٠١١، كما أن له إنتاجًا فكريًّا يتوزع بين الكتب والأبحاث؛ فمن الكتب المؤلفة: [للنظرية النقدية ومنظريها]، و[النظرية السياسية للقرن العشرين]، و[النظرية النقدية: مقدمة قصيرة جدًّا]، وغيرها من الكتب. أما من حيث الأبحاث المنشورة؛ فله: [تفسير التنوير: الميتافيزيقا والنقد والسياسة]، و[المشروع الاشتراكي: في ذكرى رودي دوتشكي]، و[حقوق الإنسان والدين والإحساس الكوزموبوليتاني]، وغيرها من الأبحاث. ونظرًا لجهوده العلمية، وخبرته الميدانية؛ فقد ترجمت أعماله إلى اثنتي عشرة لغة حول العالم.

ثانيًا: ملخص الكتاب:

تحت هذا العنوان ستسرد الباحثة ملخصًا مهمًّا للكتاب ينقسم إلى ثلاثة عناوين فرعية؛ أولها محتويات الكتاب، وثانيها مقدِّمة الكتاب، وثالثها فصول الكتاب. أما عن الآلية المتبعة في عرض التخليص؛ فمن حيث

محتويات الكتاب سيتم [استعراض المعلومات الفنية لعدد الفصول، ومسمياتها، وآلية ترتيب الفصول التي اعتمدها المؤلف، يليها استعراض استدلالي على الترتيب الزمني من خلال تناول موجز لكيفية معالجة الكتاب]:

في محتويات الكتاب؛ تكونت محتويات الكتاب من ١١ عنوانًا، وهي: [مقدمة: ما النظرية النقدية؟ الفصل١: مدرسة فرانكفورت، الفصل٢: المنهج، الفصل٣: الاغتراب والتشيؤ، الفصل٤: أوهام مستنيرة، الفصل٥: المعمل اليوتوبي، الفصل٦: الوعي السعيد، الفصل السابع: الرفض العظيم، الفصل٨: من الاعتزال إلى التجديد، المراجع: قراءات إضافية، ومصادر الصور].

وبالنظر في مسمى الفصول وطريقة تنظيمها؛ يُلاحظ أن المؤلف قد قام باستعراضها وفقًا للترتيب الزمني، وليس الترتيب الموضوعي، ويمكن الاستدلال على الترتيب الزمني من خلال استعراض موجز عما تعالجه الفصول من أفكار متدرجة؛ فقد ابتدأ الكتاب باستعراض مدخل تعريفي للنظرية النقدية بواسطة التطور التاريخي، يليه الحديث عن تأسيس معهد البحث الاجتماعي لمدرسة فرانكفورت، وأطواره الثلاثة، وبعد ذلك استعراض أهم المفكرين المساهمين، والرواد الأساسيين للنظرية النقدية، ثم الحديث عن أهم مرتكزات النظرية النقدية وفق بدايات ظهورها؛ فمن حيث أهم وأول منطلقاتها هو الاغتراب والتشيؤ، يليه نقد تداعيات عصر التنوير على حرية الفرد، وبعدها إعادة إحياء الاهتمام باليوتوبيا، ثم تحليل أزمة الوعي السعيد الذي خلقته صناعة الثقافة، ثم طرح دعوة الرفض العظيم، وكيفية الاستلهام من الحركات الجديدة لخلق وعي لدى طبقة البلورتاريا، وصولًا للدعوة التي نادى بها المؤلف رواد مدرسة فرانكفورت إلى أهمية بث الروح التجديدية للنظرية النقدية، وضرورة الخروج من رحم الانعزال.

وننتقل بعد ذلك للحديث عن آلية التلخيص المتبعة في مقدمة الكتاب، وفصوله؛ فسيتم ابتداء [عرض المعلومات الفنية لعدد صفحات الفصل، وعنوانه الرئيس، وعناوينه الفرعية إن وُجدت، تليها الإشارة إلى فكرة الفصل الرئيسة، وكيفية معالجتها من قِبل المؤلف]:

مقدمة الكتاب؛ تكوَّنت المقدمة من ٧ صفحات، وجاء عنوانها الرئيس: [مقدمة: ما هي النظرية النقدية؟]، ودارت هذه المقدمة حول فكرتين رئيستين؛ الأولى إعطاء مقدمة مقتضبة عن النظرية النقدية؛ فقد تحدث المؤلف عن جذورها التي ابتدأت مع سقراط، وعن منطقها الرافض لربط الحرية بالتنظيمات المؤسسية والفكرية، وعن الأصول الفكرية التي تأثرت بها كفكر كانط، وهيجل، وماركس، وعن كونها انعتاقًا جديدًا عن الماركسية التقليدية؛ بوصفها ماركسية جديدة تستقي المنهج النقدي دون أن تؤمن بمبدأ الحتمية الاقتصادية، ثم إشارة المؤلف إلى أهم مرتكزاتها الفكرية؛ كالاغتراب والتشيؤ، وجدل التنوير، وإحيائها لليوتوبيا، وغايتها في تحرير الفرد المسلوب في المجتمعات الحديثة، بعد ذلك تم التعريج على نشأة معهد البحث الاجتماعي، وتسميته بمدرسة فرانكفورت، وصولًا إلى الحديث عن أهم منظريها؛ ككورش، ولوكاتش، وأدورنو، وفروم، وماركوزه، وبنجامين، وهابرماس. أما الفكرة الثانية فهي إشارة المؤلف

إلى غرضه من تأليف الكتاب؛ ألا وهو توجيه النقد الإيجابي للنظرية النقدية، والمتمثل في ضرورة إخضاع منطلقاتها الثابتة لذات المنهج النقدي، وبرر المؤلف علة نقده في كونه إخلاصًا للمشروع النقدي، وكذلك رغبته في تطوير النظرية النقدية من خلال قدرتها على التعرف والتعاطي مع أنواع الاضطهاد المستجدة عالميًّا، وعما يمكن أن تسهم فيه النظرية في فتح سبل مقاومة جديدة للبشرية، وإعادة بناء قيم تحررية جديدة تبث الحياة في النظرية النقدية.

أما من حيث فصول الكتاب؛ فقد تألف **الفصل الأول** من ٩ صفحات، وحمل عنوانه مسمى: [مدرسة فرانكفورت]، وتضمن عنوانين فرعيين: [الحلقة الداخلية، كلمة أخيرة]، ويتمحور الفصل حول فكرة أساسية؛ هي الكيفية التي تأسست بها مدرسة فرانكفورت، وقد فصَّل المؤلف الفكرة بواسطة تقسيمها لمحورين رئيسين؛ المحور الأول الإشارة للأطوار التي مرت بها مدرسة فرانكفورت في أثناء نشوئها؛ حيث ذكر المؤلف أن مدرسة فرانكفورت مرت بطورين رئيسين؛ الطور الأول الذي حدث بواسطة هيرمان فايل، وقيامه بالتأسيس المادي لمدرسة فرانكفورت تحت مسمى [معهد البحث الاجتماعي] في عام ١٩٢٣، وقيادة المعهد بواسطة الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت، ومن أبرزهم جرونبرج، وجروسمان، وبولوك، وغيرهم، وما ميز هذا الطور غياب الطرح الفكري المتمايز للنظرية النقدية من قِبل علماء الجيل الأول. أما الطور الثاني فقد بدأ في عام ١٩٣٠ على يد أشهر علماء النظرية النقدية –وهو هوركايمر– عندما قام بإنشاء [الحلقة الداخلية] للمعهد، ويعرفون بأنهم الجيل الثاني من علماء مدرسة فرانكفورت، ومن أبرزهم فروم، وماركوزه، وبنجامين، وأدورنو، وهابرماس. ننتقل بعد ذلك للمحور الثاني الذي تناول بشكل خاص علماء الجيل الثاني من مدرسة فرانكفورت من حيث نشأتهم التربوية، وخلفيتهم العلمية، وأهم إسهاماتهم الفكرية في بلورة النظرية النقدية، ويمكن حصر أهم هذه الإسهامات العلمية؛ حيث اهتم هوركايمر بنقد عصر التنوير وتداعياته، في حين ربط فروم بين التحليل النفسي ومقاومة الكبت الغرائزي للإنسان، أما ماركوزه فقد أخرج فكرة الإنسان ذي البُعد الواحد، وصولًا لبنجامين الذي اهتم بمسألة الخلاص اليوتوبي، يليه أدورنو الذي اهتم بالجدل السلبي وقضية النفي، وانتهاء بهابرماس الذي تجلت جهوده في تطويع الخطاب، ونظريه الفعل التواصلي.

وننتقل بعد ذلك **للفصل الثاني** الذي تكوَّن من ١٣ صفحة، وحمل عنوان: [المنهج]، وتمحورت فكرة الفصل المركزية حول الكيفية التي تشكلت بها النظرية النقدية كمنهج فكري؛ حيث عالج المؤلف هذه الفكرة بواسطة تفكيكها لخمسة محاور؛ الأول الحديث عن نشأة النظرية النقدية كمصطلح؛ حيث نوه المؤلف إلى أن مصطلح النظرية النقدية تم إطلاقه عام ١٩٣٧ من قِبل أعضاء مدرسة فرانكفورت؛ للتعريف بتوجههم الفكري إبان منفاهم في الولايات المتحدة؛ وذلك رغبة في إخفاء توجهاتهم السياسية الداعمة للشيوعية، أما المحور الثاني فقد تناول المراحل الأساسية التي مرت بها النظرية النقدية؛ حيث صنفها المؤلف إلى ثلاث مراحل مهمة؛ المرحلة التقليدية التي قامت أساسًا على التراث الماركسي التقليدي الذي كان له رواج كبير في الثورة البلشفية الروسية، إلا أن تحول الثورة الشيوعية إلى ثورة شمولية قمعية نتيجة الإرهاب اللينيني والستاليني جعل النظرية النقدية تنتقل للمرحلة التجديدية؛ ألا وهي انبثاق

الماركسية النقدية التي تعود إلى [ماركس الشاب]، والتي تنادي بضرورة التحرر البشري، ومكافحة الهيمنة؛ أي إن النظرية تحولت من الاهتمام بالتغيير الاجتماعي بواسطة الصراع الطبقي إلى التركيز على فكرة الحفاظ على الفردية الإنسانية، إلا أن هابرماس –وهو التلميذ الأشهر لمدرسة فرانكفورت– شكك في فكرة الذاتية والفردية الإنسانية كأحد أهم مكونات مقاومة الهيمنة؛ مما أدى إلى ظهور المرحلة المتطورة التي شدد فيها هابرماس على ضرورة وجود أُسس نقدية يمكن الاستناد إليها لتحقيق التحرر، وهو ما أسماه لاحقًا بـ[أخلاقيات التواصل]، وما أورده من شروط مهمة لتحقيقها. بعد ذلك نصل للمحور الثالث الذي تم فيه إيراد أهم رواد النظرية النقدية وإسهاماتهم الفكرية المساعدة في بلورتها؛ فكان من أهم رواد المرحلة الأولى كل من لوكاتش ومؤلَّفه [التاريخ والوعي الطبقي]، وكورش ومؤلَّفه [الماركسية والفلسفة]، وبلوخ [لم يورد له المؤلف أي إنتاج فكري]، أما أهم رواد المرحلة الثانية؛ فهم هوركايمر ومؤلَّفه [المادية والميتافيزيقيا]، والذي هاجم فيه الوضعية والميتافيزيقا؛ لتجاهلهما الذاتية الإنسانية، والخيال اليوتوبي، وفروم بمؤلَّفه [السياسة والتحليل النقدي]، والذي قرن فيه بين أثر المجتمع الرأسمالي على شخصية الإنسان واستلابه، وأدورنو بمؤلَّفه [الحد الأدنى للأخلاق]، وماركوزه بمؤلَّفه [مقال عن التحرر] وقد سلطا الضوء على ضرورة إشباع رغبات الإنسان المكبوتة؛ كالحب، والجنس، وغيرهما. وبنجامين بمؤلَّفه [أطروحات حول فلسفة التاريخ] الذي حاول فيه خلق ثورية لاهوتية مختلطة بالخيال اليوتوبي. ثم نمر بالمحور الرابع المتعلق بالإشارة لبعض المنطلقات الأساسية للنظرية النقدية؛ كعدم الاعتراف بقضية الثبات والديمومة، وأنها نظرية متغيرة، ومتجددة، وذات طابع ديناميكي تتعاطى مع الظروف، والسياق الذي تتواجد فيه، وأنها نظرية تلتزم بمبدأ الكل؛ ونصل بعد ذلك للمحور الخامس؛ ألا وهو الإشارة إلى بعض الفلاسفة الذين استلهمت منهم النظرية النقدية بعض رؤاهم الفلسفية؛ كفايبر، وفرويد، ونيتشه.

أما **الفصل الثالث**؛ فقد تكون من ١٣ صفحة، وحمل عنوان: [الاغتراب والتشيؤ]، وتضمن ثلاثة عناوين فرعية: [جذور الشقاء، نهاية العالم والميتافيزيقيا، النظر إلى الوراء]، وتمحورت فكرة الفصل الرئيسة حول تفصيل مُنطلق الاغتراب والتشيؤ كإحدى أهم ركائز النظرية النقدية؛ وذلك من حيث كيفية ظهوره كمصطلح استنادًا إلى [مخطوطات عام ١٨٤٤ الاقتصادية والفلسفية] لماركس الشاب، ثم يعرِّج المؤلف بعد ذلك على معنى الاغتراب والتشيؤ عند جمع من الفلاسفة؛ فعند هيغل يعني ضعف الوعي لدى طبقة البلورتاريا، وهو عند ماركس عدم القدرة على فهم عمل التاريخ، ومحاولة إخضاعه للصيرورة البشرية، ولدى فايبر هو في الأثر الذي خلَّفته العقلانية الأداتية في النظرة للإنسان باعتباره مادة قابلة للاختبار، والقياس، أما بلوخ ولوكاتش؛ فقد ربطا الاغتراب بظهور نمط الحياة الحديثة والعصرية، وعند فروم هو مرتبط بالشمولية الرأسمالية والشيوعية وما تؤصله من قمع لفردية الإنسان، وصولًا لهوركايمر، وهابرماس، وهونيث الذين كانت لهم رؤى أخرى حول معنى الاغتراب والتشيؤ، ثم انتقل المؤلف بعد ذلك إلى محاولة تعريف الاغتراب والتشيؤ، وعلاقتهما ببعضهما؛ فالاغتراب هو العالَم الذي يشعر فيه الإنسان بالغربة

نتيجة النظر إليه باعتباره شيئًا، وبالأخص كعجلة في آلة الإنتاج، ومن هنا فالاغتراب والتشيؤ مفهومان طرديان، ثم لخص المؤلف أسباب الاغتراب والتشيؤ في كونهما ناتجين من الفلسفات الحديثة؛ كالوضعية وما أفرزته من عقلانية أداتية تسعى لتقنين وتأطير الإنسان بقالب المادة، والتوجهات العالمية المتضادة؛ كالرأسمالية والشيوعية ونظرتهما المتطرفة لماهية الإنسان، وصولًا للحركات السياسية؛ كالنازية، والفاشية التي حطت من قيمة الإنسان، ونوه المؤلف في نهاية الفصل إلى أن مشكل الاغتراب والتشيؤ لا يمكن حله من داخل أُطر الأنظمة القائمة؛ بل لا بد من أن تكتسي المقاومة النقدية بنوع جديد في طريقة تعاطيها مع هذا المشكل، وإلى تفوق الماركسية التقليدية على الماركسية الجديدة التي نادى بها رواد مدرسة فرانكفورت؛ وذلك بسبب الوضوح الذي تتسم به الأولى، والغموض الذي تحلت به الثانية.

نصل بعد ذلك **للفصل الرابع**؛ الذي جاء في ١٠ صفحات، وكان عنوانه: [أوهام مستنيرة]، واحتوى على ثلاثة عناوين فرعية: [وهم التقدم، الانسحاب من التاريخ، ماذا بعد]، وتمحورت فكرة الفصل الرئيسة في استعراض ونقد كتاب [جدل التنوير] لهوركايمر، وأدورنو باعتبارهما من أهم رواد مدرسة فرانكفورت من الجيل الثاني، وقد عالج المؤلف هذه الفكرة بواسطة ثلاثة محاور؛ الأول استفتاح المؤلف بداية الفصل في الحديث عن الأهمية المركزية التي أولاها رواد مدرسة فرانكفورت في نقدهم لعصر التنوير؛ مما دفع كلًّا من هوركايمر وأدورنو إلى تأليف كتاب [جدل التنوير] الذي يُعالج بشكلٍ خاص تداعيات عصر التنوير السلبية على حرية وفردية الإنسان، أما المحور الثاني فتناول المؤلف أطروحة كتاب [جدل التنوير] التي تتمحور حول التحول الذي طرأ على معنى التنوير؛ فالتنوير ظهر ابتداءً لمواجهة السيطرة الكنسية القابعة على أوروبا في القرون الوسيطة، وكان من أهم نواتج عصر التنوير مناداة أنصاره بتطبيق المنهج العلمي بما يتضمنه من تفكير أداتيأدورنو وتقصٍّ علمي، والتوجهات الأيديولوجية؛ وقد أدَّى هذا في مجمله إلى تطور وازدهار الحضارة في أشكالها؛ كالرأسمالية، والليبرالية فيما بعد، إلا أن هذه المغالاة العلمية التي أوجدها التنوير خلقت وهْمًا بالتقدم دون الانتباه لما أفرزته من نواتج سلبية؛ كذوبان الذاتية الإنسانية، وانكماش القدرة النقدية العقلية، ولم ينتبه العالم لهذه النواتج إلا بعد ظهور النازية، والفاشية، والشيوعية في طورها القمعي، وهنا حدث التحول في النظرة للتنوير من قِبل رواد مدرسة فرانكفورت بكونه مصدر تهديد للحرية الإنسانية؛ فقد أدى التنوير إلى جعل الأفراد عاجزين عن إطلاق الأحكام الأخلاقية، ومستسلمين لعملية تشييئهم، واغترابهم في نهاية المطاف، وبالتالي تحول هدف التنوير الأول الساعي لتحرير إرادة الأفراد من الاضطهاد الكنسي إلى هدف مشابه للغاية ومختلف في الوسيلة؛ ألا وهو تنميط الأفراد، والسيطرة عليهم باسم الحضارة والتقدم. وفي المحور الثالث تم استعراض النقد الذي وجَّهه المؤلف لكتاب [جدل التنوير]؛ حيث نوه المؤلف إلى أن الكتاب اعتمد على مبدأ النفي للتنوير؛ إلا أنه لم يقدم صيغة مقترحة لماهية التنوير المطلوب، أيضًا نقض المؤلف كون العقلانية الأداتية أحد أسباب ظهور الحركات السياسية المتطرفة –كالنازية، والفاشية–؛ ويعلل ذلك بكون النازيين والفاشيين غير مؤمنين بالعقلانية

العلمية؛ بل إنهم ميالون إلى احتقارها، أشار المؤلف كذلك إلى أن الكتاب لم يقدم دليلًا علميًّا ملموسًا يدلل على أن التنوير كان سببًا في ارتباط الحضارة بالشمولية، مستشهدًا في ذلك بالدول المتقدمة التي قامت على تراث التنوير؛ كالولايات المتحدة، والمملكة المتحدة. واختتم المؤلف حديثه بأن كتاب [جدل التنوير] استمر في التمركز حول النفي السلبي لعصر التنوير؛ وذلك لأن مؤلفيه –هوركايمر، وأدورنو– لم يجدا بديلًا فكريًّا أفضل.

نأتي **للفصل الخامس**؛ الذي تكوَّن من ١٢ صفحة، وجاء معنونًا بـ[المعمل اليوتوبي]، واحتوى على ثلاثة عناوين فرعية: [ترقب اليوتوبيا، إحلال السلام على الوجود، ما الشيء المفقود]، ودارت فكرة الفصل الرئيسة حول قيام مدرسة فرانكفورت بإعادة إحياء اليوتوبيا نتيجة لتحول الثورة الشيوعية من ثورة تحريرية إلى ثورة شمولية؛ وذلك باعتبار أن اليوتوبيا وما تخلقه إحدى وسائل التحرر، وخاصة في الأوقات التي يكون فيها الواقع في أشد حالاته إحباطًا، وقد تناول المؤلف هذه الفكرة بواسطة تقسيمها لمحورين؛ الأول تناول معنى اليوتوبيا عند رواد مدرسة فرانكفورت، واختلافهم وتضادهم في ماهيتها؛ فاليوتوبيا عند بلوخ جاءت من المدخل الفني، فقد رأى أن الحركة التعبيرية من أفضل الطرق لتصور اليوتوبيا، كما نظَّر بلوخ إلى أن الخيال اليوتوبي عن شكل الحياة المُثلى يساعد على رسم طريق التحرر في الواقع المليء بالاغتراب والتشيؤ، وبرهن على نظرته الفنية بكون جنة عدن من أشهر وأقوى صور التعبير الفني عن خلاص الإنسان في مختلف الثقافات الإنسانية، ويؤكد بلوخ أن اليوتوبيا تمكنت من خلق واقع سعيد للبؤساء الذين ثاروا في الثورتين الفرنسية، والروسية، وقضوا على الملكيات المطلقة، وأنها قادرة مره أخرى على تزويد الجماهير برؤى جديدة لإخراج الثورة الشيوعية من محنة الشمولية، مشيرًا إلى أن الاشتراكية في جوهرها لا بد أن تكون لها يوتوبيا متجددة؛ طامحة دائمًا لتحقيق الحياة المُثلى. وقد نسج بلوخ رؤيته اليوتوبية في ضوء الأعمال المتنوعة لفلاسفة الشرق والغرب، وقد تلخصت رؤيته في مؤلَّفه الشهير [روح اليوتوبيا]، ننتقل بعد ذلك للوكاتش الذي كانت له نظرة مغايرة لبلوخ؛ فقد اتَّهم الحركات الفنية –وخاصة التعبيرية– بإسهامها في ظهور الاستبداد النازي، والفاشي، ولم تكن له أيَّة توجهات يوتوبية؛ بل اهتم بـ[الواقعية النقدية]، نصل بعد ذلك لماركوزه الذي أصَّل لليوتوبيا من المدخل النفسي؛ فقد نظر إلى أن اليوتوبيا تتحقق بواسطة تحرير الخيالات والغرائز البشرية، متأثرًا في ذلك بالتوجه الفرويدي، ورأى أن من موانع تحقيق اليوتوبيا هي المقاييس الواقعية؛ كثنائية الحياة والموت، أو الربح والخسارة، وقد تلخصت رؤية ماركوزه في مؤلَّفه [مقال عن التحرر]، إلا أن رؤية ماركوزه اليوتوبية وُوجِهت بالنقد من هابرماس، وفروم، وكان أصل نقدهما قائمًا على افتقاد رؤيته اليوتوبية لمعايير التحقق من صحتها بالنسبة لهابرماس، وأن التنظير في علم النفس يتطلب من الفرد أن يكون مضطلعًا بالممارسة الإكلينيكية بالنسبة لفروم –وذلك لكونه مختصًّا بالعلوم النفسية، أما المحور الثاني فقد تمثل في تعقيب المؤلف على يوتوبيا مدرسة فرانكفورت من نواحي الإيجاب والسلب؛ فمن نواحي الإيجاب أشار المؤلف إلى التفرد الذي امتازت به يوتوبيا مدرسة فرانكفورت عن

اليوتوبيا التقليدية، فهي يوتوبيا جامحة تنتهج الأسلوب الراديكالي في نقد الواقع، وطموحها إلى عالم حر يصعب تحقيقه، كما أثنى على كيفية توظيف مدرسة فرانكفورت لليوتوبيا لكسر الهيمنة، وتحقيق التحرر، والفردية الإنسانية، وعلى تأكيدهم لفكرة أن اليوتوبيا غير نهائية وفي مرحلة توليد دائم عما يجب أن تكون عليه الحياة المثلى، أما النواحي السلبية فتتمثل في تنويه المؤلف إلى ما قد يحدث من كوارث دموية نتيجة لمحاولة تحويل اليوتوبيا إلى واقع، وفي تبرير العنف البشع الذي ينتهجه اليوتوبيون لتحقيق رؤاهم التحررية –والمؤلف هنا يشير بطريقة غير مباشرة إلى ما انتهجه بعض رواد فرانكفورت من تأييدهم للعنف، كمدافعة بلوخ للمحاكمات الصورية التي قام بها ستالين في روسيا، وتنازُل لوكاتش عن أفكاره النقدية التحررية في كتابه [التاريخ والوعي الطبقي] نتيجة للضغط الذي واجهه من الكومنترن.

وجاء **الفصل السادس**؛ مكوَّنًا من ١١ صفحة، وكان عنوانه: [الوعي السعيد]، واحتوى على عنوانين فرعيين: [آلية عمل صناعة الثقافة، التسامح والحياة العامة]، وكانت فكرة الفصل الرئيسة تدور حول النقد الذي وجهته مدرسة فرانكفورت للمعايير المقننة للسعادة، والتي خلقتها وسائل الإعلام في صناعتها للثقافة داخل المجتمعات الشمولية، وخاصة الرأسمالية، والتي تجعل الحشود الجماهيرية تعيش في وعي اختزالي سعيد، وتداعيات ذلك في القضاء على الفردية، والحرية النقدية للإنسان. وقد فصَّل المؤلف هذه الفكرة بواسطة تجزئتها لأربعة محاور؛ الأول تناول فيه المؤلف الجذور الأولى لنشأة فكرة نقد الوعي السعيد؛ حيث اقتبسته مدرسة فرانكفورت من هيجل الذي لوَّح بأن التقدم معناه أن يكون الفرد مغايرًا للأغلبية ليكون حرًّا بحق، وأن ينعم بالوعي الشقي بدلًا من الوعي السعيد الجمعي، ثم طورت مدرسة فرانكفورت هذا النقد بالاستفادة من أفكار نيتشه الذي أشار إلى تزايد ضحالة وعي المجتمعات، وتآكل الثقافة الأصيلة مع تنامي الثقافة المصطنعة. وفي المحور الثاني يسرد المؤلف أهم مسببات الوعي السعيد من وجهة نظر مدرسة فرانكفورت ألا وهي صناعة الثقافة باعتبارها سمة أساسية للمجتمعات الشمولية؛ إذ تؤدي صناعة الثقافة إلى تنميط معنى السعادة؛ الأمر الذي سينعكس بدوره على خضوع الجماهير لما يملى عليها من أيديولوجيات؛ لفقدها القدرة على الإبداع والابتكار من وحي ذاتها؛ وذلك في مصفوفة تقتضي أن صناعة الثقافة تقضي على الفردية والذاتية، ومن ثم تؤدي إلى إحكام التشيؤ على مفاصل الحياة العامة، ثم يسوق المؤلف بعد ذلك جملة من آراء رواد مدرسة فرانكفورت تجاه أزمة صناعة الثقافة؛ فيُشير أدورنو إلى أن ما أنتجته صناعة الثقافة لم تكن أعمالًا فنية حقيقية؛ بل هي مجرد سلع ترفيهية تُسلي الجماهير، أما هوركايمر فقد دافع عن الفن الأصيل في مواجهة الفن الترفيهي الجماهيري، وصولًا لماركوزه وإشارته إلى ما تسببت به صناعة الثقافة من انسداد في أفق الحياة السياسية، وكال هابرماس هجومه على صناعة الثقافة بأدواتها الإعلامية بسبب دورها في إطفاء جذوة شعلة الحركات التحررية، ننتقل بعد ذلك للمحور الثالث الذي ينوه فيه المؤلف إلى نضال مدرسة فرانكفورت في مقاومة سلطة وسائل الإعلام وما تخلقه من وعي وهمي سعيد؛ حيث تطرح المدرسة نوعين من المقاومة؛ المقاومة السلبية، وأدواتها الرفض، والنفي

لهذا الوعي، وتستخدم عندما يكون النظام الحاكم شموليًّا، وقادرًا على تذويب كل التوجهات النقدية، أما النوع الثاني فهو المقاومة الإيجابية، وأدواتها المتمثلة في كل ما هو متاح من إمكانيات، وتستخدم عندما تكون هناك أصوات نقدية غير خاضعة للنظام الشمولي. في حين أن المحور الرابع تمثل في النقد الذي وجَّهه المؤلف إلى مدى مصداقية سردية مدرسة فرانكفورت؛ من كون وسائل الإعلام وصناعتها الثقافية مضللة للوعي على الدوام، واستشهد المؤلف بما لعبته وسائل الإعلام في صناعة ثقافة تدافع عن الجماعات المضطهدة، وتحارب قيم التعصب والرجعية، كما اتهم المؤلف المدرسة بأنها نخبوية في تعاطيها مع صناعة الثقافة، وضرب مثالًا في ماركوزه وقوله بـ[التسامح القمعي] الذي عنى به أن صناعة الثقافة تسلب رأي الفرد في ماهية الصواب والخطأ، وتجعل كل الآراء نسبية، ونظرته بأن شعبية العمل الفني تُشير إلى تدني قيمته، كما ضرب مثالًا بأدورنو الذي انتقد [فن الجاز] رغم عدم إلمامه الكامل بهذا الفن، واعتبر أنه أقرب لأن يكون فنًّا شعبيًّا، واختتم المؤلف الفصل بالتشكيك بجدوى المقاومة للوعي السعيد الذي أوردته مدرسة فرانكفورت، مشيرًا إلى كونها مقاومة سلبية تنحى نحو الرفض دون أن تقدم بديلًا حقيقيًّا.

وجاء بعد ذلك **الفصل السابع**؛ وتكوَّن من ٩ صفحات، وكان عنوانه: [الرفض العظيم]، وضم عنوانين فرعيين: [الإدراك الجديد، تبني النفي]، وقد تمحورت فكرة الفصل الأساسية في انتهاج مدرسة فرانكفورت لمبدأ الرفض العظيم في أدبياتها؛ وذلك بغاية معالجة إشكالية تدني الوعي الثوري لطبقة البلورتاريا، ومعاناته من الضحالة الفكرية؛ وذلك بسبب التغير الذي حدث في بنية المجتمع الصناعي؛ الأمر الذي دعا رواد مدرسة فرانكفورت إلى أن يستلهموا أشكال الرفض العظيم من الحركات التحررية المعاصرة لتلك الحقبة في ستينات القرن العشرين، وقد عالج المؤلف هذه الفكرة بواسطة تفكيكها لأربعة محاور؛ الأول تناول فيه المؤلف الجذور الأولى لنشأة فكرة الرفض العظيم، وماهيتها، فالرفض العظيم مصطلح ظهر على يد ماركوزه، وعنى به الدعوة إلى تدنيس كل ما هو مقدَّس في المجتمع الصناعي، ورفض كُل ما يرتبط به من نواحي إحكام السيطرة، وترسيخ شكل ما من السلطة، بواسطة الدعوة إلى الاحتجاج، واحتلال الساحات. أما المحور الثاني فيتناول كيفية استلهام مدرسة فرانكفورت أشكالًا وأعرافًا جديدة للرفض العظيم من الحركات التحررية؛ كحركة الطليعة الفنية الأوروبية، وخاصة جماعة السريالية المنادية بقمع الفنان لوعيه، وترك عقله اللاواعي يصنع الفن، والجماعات المهمشة –كالنسوية، والملونين– التي انتزعت حقوقها المدنية بواسطة احتجاجات الساحات، والجماعات الحرة – كالبوهيمية – التي نزعت إلى عيش الحياة المستقلة بعيدًا عن تأثيرات مادية المجتمعات الحديثة، والحركات الراديكالية المناهضة للإمبريالية التي نادت بالنضال ضد [المجمع الصناعي العسكري]، وحركات المجتمع المدني التي نادت بالإصلاحات المجتمعية، وأدت لإطلاق [برامج المجتمع العظيم] في الأمة الأمريكية، والجماعات المهتمة بالبيئة، وحقوق الحيوان، والشوفينية الذكورية، والشواذ؛ حيث اهتمت جُل هذه الحركات بمسألة الذاتية، ورغبتها الإنسانية الخالصة في تكوين المعنى الخاص لها في الحياة، بعيدًا عن

سيطرة المجتمعات الصناعية الشمولية بما فيها من تشيؤ واغتراب، وصناعة لثقافة الوعي السعيد، فيما تم في المحور الثالث تسليط الضوء على دور اليوتوبيا النقدي في مواجهة صناعة الثقافة –اقتصر المؤلف على ذكر توجهين يوتوبيين لرواد فرانكفورت باعتبار أن اليوتوبيا سبق أن أُفرد لها مبحث خاص بها–؛ حيث أشار هوركايمر إلى أهمية التوق الإنساني إلى الكمال، ودوره في مقاومة المجتمع الشمولي، في حين أن أدورنو انتهج المدخل الموسيقي باعتباره أنجع الطرق في تعبير الإنسان عن فرديته، وأن الموسيقى طريق للحرية، والخلاص. وننتقل بعد ذلك للمحور الرابع الذي وجَّه فيه المؤلف نقده للنهج الذي تبنَّته مدرسة فرانكفورت؛ ألا وهو النفي السلبي كأصل مركزي لحركة الرفض العظيم، وقد ضرب المؤلف جملة من الأمثلة المدلَّلة على النفْي السلبي؛ كرفض مدرسة فرانكفورت أن تتحول نظريتها إلى تطبيق بدعوى أن هذا يجعلها ميالة إلى التبسيط، وهذا يؤدي في مجمله إلى أن تنعزل النظرية عن الانخراط في حركة التغيير المنظمة، كذلك تنزع النظرية إلى التأكيد على مسائل كـ[اللاهوية] و[التوق للآخر الكامل]؛ إلا أنها لا تُعرِّفها التعريف المبيِّن لماهيتها، ولا تُفصل في كيفية تطبيقها، كما أن مبدأ المقاومة يقف عند حدود رفض أنطولوجيا الأوضاع الخاطئة، دون أن يحمل في طياته إمكانية تغييرها، وختم المؤلف نقده بالإشارة إلى عجز مدرسة فرانكفورت عن تقديم بديل إيجابي لهذا الرفض.

ونصل في نهاية المطاف إلى **الفصل الثامن**؛ الذي تكون من ١٤ صفحة، وحمل عنوان: [من الاعتزال إلى التجديد]، واحتوى على ثلاثة عنوانين فرعية: [نظرية نقدية للمجتمع، الجانب السياسي للتنوير، دافع إحداث تحول]، وكانت فكرة الفصل الأساسية متمحورة حول النقد المُركَّز الذي وجَّهه المؤلف للنظرية النقدية، وخاصة في منطلقاتها الفكرية، وطرحه لاقتراحات توجيهية يمكن أن تُسهم في بث روح الحياة فيها؛ وذلك في سبيل النهوض بها، وعالج المؤلف هذه الفكرة بتقسيمها لثلاثة محاور؛ الأول تناول فيه المؤلف بدايات تداعي النظرية النقدية؛ حيث ذكر أن الحرب العالمية الثانية تسببت في أن تفقد مدرسة فرانكفورت إيمانها بقيم التحرر، وفقدت معها قدرتها على ابتكار وسائل جديدة للتحرر؛ ونتيجة لذلك بدأت تركز على مبدأ النفي السلبي، ومن دون وجود إضافة حقيقية تقدمها المدرسة بدأت تتقوض من الداخل، وهذا ضرب هدفها الأساسي المتمثل في مكافحة الهيمنة، والاغتراب، وتحرير الفرد، وجعلها تقع في الإعادة، والتكرار، والدخول في مجالات ليست من صلب تخصصها. ننتقل بعد ذلك إلى المحور الثاني الذي ذكر فيه المؤلف محددات النقد لمنطلقات ومسلمات مدرسة فرانكفورت مقترنة بالاقتراحات لحلها، وقد أجملها في سبع نقاط؛ بدأ المؤلف بنقد منطلق [النقد السلبي]، فأشار إلى أن تمسك مدرسة فرانكفورت بهذا النقد السلبي أدى في محصلته إلى أن تتوقف عن اقتراح أساليب جديدة للتصدي لأشكال الاضطهاد في الأزمان الحديثة كالإمبريالية، ودعا إلى الاستفادة مما كتبه ماركوزه، ونويمان عن التغيير الاجتماعي الذي يُشير إلى أن أي نظرية نقدية للمجتمع لا بد أن تعي أن الاغتراب في المجتمعات يتغير تبعًا لحركة التغيير الاجتماعي، بعد ذلك انتقد المؤلف تجاهل مدرسة فرانكفورت لمسألة [السلطة]، وأن ذلك يؤدي إلى تبسيط المشكلات المرتبطة بالهيمنة؛ بالرغم

من أن غالب مشكلات الهيمنة والاضطهاد نابعة من كيانات سياسية، كما انتقد تعويل المدرسة على الأفراد الفُرادى لتحقيق التحرر، ثم دعا المؤلف إلى الاستفادة مما كتبه هابرماس، وروبرت، وأدورنو في كيفية التواصل والتنظيم والتمييز مع السلطة السياسية، ثم انتقل المؤلف لنقد قضية [التغيير المجرد]، فالمدرسة ضخمت من قضية تبنِّي الإصلاح، وضرورة التحرك لإحداث التغيير، لكنها في نفس الوقت لا تقدم مادة حقيقية إجرائية لكيفية عمله، فلا توجد أجندة لكيفية إجراء هذا الإصلاح. تحوَّل المؤلف بعد ذلك إلى نقد التقادم الذي أصاب مصطلحي [الاغتراب والتشيؤ]، وأنهما تحوَّلا من مصطلحات مساعدة على التحرر في بدايتهما إلى مصطلحات مبرِّرة للهيمنة، وأنه لا بد من إعادة النظر فيهما، ومواءمتهما؛ ليعودا لوظيفتهما الأصلية في مكافحة أشكال الهيمنة الجديدة. قام المؤلف أيضًا بنقد الطريقة التي وظفت بها مدرسة فرانكفورت [العقلانية الأداتية]؛ فقد استخدمتها بطريقة شكلية أدت إلى أن تُقحم النظرية النقدية في الأحكام التخصصية للعلوم، واقترح المؤلف أن تستفيد من بوبر في مبدئه القائم على القابلية للتفنيد؛ وهذا من شأنه أن يجعل النظرية النقدية قائمة على الاستخدام المقاصدي –أي كيفية توظيف النظريات في الاستخدامات الاجتماعية–، وليس التفسير الحُكمي –أي إصدار الأحكام على محتوى النظرية. انتقد المؤلف بعد ذلك [الرؤية اليوتوبية المحضة]، وأشار إلى أهمية إقرانها بالعلوم الطبيعية على غرار ما فعله بلوخ؛ إذ نتج عن ذلك ترقٍّ أخلاقي؛ كحركة الحفاظ على البيئة. نوه المؤلف كذلك إلى ما غالت فيه مدرسة فرانكفورت في [نقد التنوير] باعتباره نقدًا مشوهًا، مشيرًا إلى أن سبب هذه المغالاة هو التعاطي مع التنوير كظاهرة مفردة دون النظر للسياق الذي جاءت فيه، فقد تجاهلت المدرسة حسنات عصر التنوير؛ كحقوق الإنسان، ومحاربة التطرف، والسلطوية، كما أن المدرسة لم تسترع النظر في أن مبادئ وأعراف التنوير ذات طابع نقدي أصيل، وبالتالي يُصبح نقد التنوير مجرد تناقض مع مبادئ المدرسة، واقترح المؤلف أن تعيد مدرسة فرانكفورت استلهام أعراف التنوير الأولى الساعية لمحاربة الاضطهاد، وإعادة توظيفه لكشف صنوف الاضطهاد المتجددة. نقد المؤلف كذلك تنديد مدرسة فرانكفورت بـ[صناعة الثقافة] باعتبارها أحد مسببات التشيؤ والاغتراب؛ بما تقوم به من تنميط للأفراد، ونشر لوهم الوعي السعيد؛ حيث نوه المؤلف إلى أن صناعة الثقافة كان لها جهود في نشر التعددية، وفضح ممارسات الاضطهاد، واقترح المؤلف على المدرسة أن تضع جهودها في نشر الوعي النقدي بالوسائل الإعلامية البديلة؛ كبرامج الإنترنت. نصل بعد ذلك للمحور الثالث الذي عرَّج فيه المؤلف على دوافعه من نقد النظرية النقدية؛ حيث لخصها بإيمانه العميق بالنظرية النقدية، وبإرثها العظيم الساعي إلى تحقيق الآمال البشرية المفقودة في الوصول إلى عالم حر، ورغبته في أن تعود إلى بداياتها؛ أي تكون فلسفة راديكالية عامة، تعمل على الكشف عن الأحوال الجديدة للاضطهاد، وتقدم حلولًا وبدائل لهذه المشكلات، وأن توضح القيم والمصالح المستبطنة من قِبل كيانات الهيمنة، وتستفيد من الحركات التحررية في

كيفية تحويل قضاياها الخاصة إلى قضايا عامة، وأن تكون النظرية النقدية مدخلًا للتنسيق بين أطياف اليسار الجديد، وأن تقدم أعرافًا تحررية جديدة للكثير من القضايا المرتبطة بالهيمنة.

ثالثًا: نقد الكتاب:

للكتاب قيمة علمية كبيرة؛ سبقت الإشارة إليها في المقدمة تحت عنوان: [القيمة العلمية للكتاب]، ومن هنا يمكن الإشارة إلى أن تصنيف الكتاب واقع في المستوى المتقدم في مجال النظرية النقدية؛ وذلك لما يمتاز به من الثراء العلمي، والفلسفي؛ حيث يجد القارئ نفسه عاجزًا عن فهمه من القراءة الأولى؛ بل يحتاج إلى قراءة ثانية، وثالثة، إضافة إلى حاجته لقراءة مراجع أخرى، ومصنَّفات ابتدائية مؤهلة لقراءة الكتاب، وتقترح الباحثة جملة من المراجع مرتبة وفق أهميتها من وجهة نظرها، وهي؛ كتاب [النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: لعبدالغفار مكاوي]، وكتاب [النظرية الاجتماعية: لإيان كريب]، وكتاب [النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: لكمال بومنير]، وبحث [مدرسة فرانكفورت النقدية الأسس والمنطلقات الفكرية: لعبير مهدي]، سواء من حيث القراءة الكاملة، أو بالاكتفاء بقراءة الفصول المختصة بالنظرية النقدية، كما أن الكتاب لا يتلاءم معه أسلوب القراءة السريعة؛ نظرًا لامتلائه بالمصطلحات المكثفة؛ وهي مصطلحات تشتمل على مفاهيم مركبة على غرار: [الديمقراطية الراديكالية، الطليعة الأوروبية، الشوفينية الذكورية]، أو مصطلحات ذات دلالات سياسية؛ مثل: [إيسوبي، انتفاضة سبارتكوس، الكومنترن]، أو الأعلام ذوي الأطياف المختلفة؛ كفلاسفة التاريخ، والتنوير، والتشاؤم، والحياة، وعلم النفس، والحركة الفنية، ومنهم: [كانط، هيجل، ماركس، شوبنهاور، نيتشه، زيميل، بلوخ، فرويد، برتون]، وغيرهم مما لا يتسع المجال لذِكْرهم؛ وكل ذلك يستدعي توقف القارئ أثناء القراءة للبحث في هذه المصطلحات، ودلالاتها، أو في التعرف على الأعلام، ومنتوجاتهم الفكرية، وربط ذلك بالمعنى الذي قصده المؤلف.

وقد بنى المؤلف فصول الكتاب بالترتيب الزمني، وقد سبقت الإشارة إليه في جزء ملخص الكتاب تحت عنوان: [محتويات الكتاب]؛ إذ يلاحظ على هذا البناء تدرجه المنطقي؛ حيث اشتمل الكتاب على ثلاث مقدِّمات، وخمس معالجات، ونتيجة نهائية واحدة؛ فالمقدمة الأولى تعرف بالنظرية النقدية، والثانية تؤصل لنشأة مدرسة فرانكفورت، والثالثة تسلط الضوء على التطورات الفكرية، والتحولات السياسية التي أُوجدت معها النظرية النقدية كمنهج فكري. أما المعالجات؛ فقد اشتملت على المنطلقات الأساسية التي قامت عليها النظرية النقدية، وهي الاغتراب والتشيؤ، وجدل التنوير، واليوتوبيا، والوعي السعيد، والرفض العظيم؛ لنصل بعد ذلك إلى النتيجة النهائية التي يمكن صياغتها كالتالي: ما زالت النظرية النقدية تمتلك إمكانات كامنة يمكن الاستفادة منها في مواجهة أزمات العصر المتجددة؛ بواسطة نبذ الجمود الفكري المرتبط بالحقب الزمنية إبان نشأتها، واستلهام أعراف جديدة للتحرر منها.

ويمكن تقسيم نقد الكتاب إلى قسمين:

أ. **النقد العام للكتاب بشقيه الإيجابي والسلبي:** حيث **يمكن إجمال مناقب الكتاب الإيجابية في أربع مناقب مهمة هي؛ الدقة اللغوية والإملائية** التي امتاز بها، و**الطبيعة الموسوعية** بنوعيها العلمي والفلسفي؛ ويظهر ذلك في الكم الوافر من المصطلحات، والأعلام؛ إذ يتبدى للقارئ أن المؤلف متخصص في العلوم البينية نظير تمكُّنه من التوظيف، والاقتباس، والدمج بين العلوم السياسية، والفنية، والدينية، والنفسية، والتاريخية، وغيرها في معالجته للنظرية النقدية. ومن المناقب أيضًا **المرجعية الدلائلية**؛ وهي محاولة المؤلف أن يكون الكتاب مرجعًا دلائليًّا مرشدًا في النظرية النقدية؛ وذلك بذكر أكبر قدر ممكن من المصطلحات، والأعلام ذات الارتباط بالنظرية النقدية، وهذه سمة مشهورة في سلسلة [مقدمة قصيرة جدًّا] الصادرة من مطبعة جامعة أكسفورد الأمريكية، ويمكن القول بأنَّ الأثر الأهم في الكتاب هو إسهامه في **الإضافة العلمية للنظرية النقدية** من خلال نقدها، واقتراح مدخلات جديدة عليها، وعدم الاكتفاء بالتأليف المقتصر على النقل، والتجميع.

أما من حيث الملاحظات السلبية على الكتاب؛ فتنحصر في ست هي؛ صياغة الكتاب، فهي لم تسهم في جعل الكتاب سهل الفهم، متسق المعنى، وربما يرجع ذلك إلى عملية الترجمة التي مر بها الكتاب من اللغة الإنجليزية إلى العربية، ومحاولة المترجم نقْل الكتاب كما جاء بصورته الأصل، ويتبدى ذلك جليًّا في عملية السرد، والانتقال بين المقاطع التعبيرية؛ إذ يلاحظ هنا غياب الروابط الواصلة؛ مثل: [ومن هنا، وبالتالي، مما أدى، وانعكس، ونستخلص من ذلك، وقد اقترن هذا، مما يدعونا للتساؤل، ومن ثم]، مع التنويه إلى وجود رابط [و]، ويكاد يكون هو الرابط الذي تم تفعيله في الصياغة. كما أن الصياغة الركيكة امتدت لتشمل عناوين الفصول، والعناوين الفرعية المتضمنة داخل الفصل؛ إذ يلاحظ القارئ أن العناوين أقرب إلى أن تكون مصوغة بحس أدبي لا علمي، وكان يفضَّل أن تكون هنالك روح في الترجمة؛ فالترجمة هي ولادة أخرى للنص، لا يكتفي فيها المترجم بالنقل الحرفي؛ بل ينتقل بالمعاني إلى سياق يجعلها مفهومةً بلغة قومه، كما أن هذه **العناوين لا تحتوي على الكلمات العلمية المدللة**؛ مثل: [تعريف، خصائص، الأهداف، النشأة، العلماء المؤسسين، الظروف التاريخية، الأحداث السياسية، الفلسفات الفكرية.. إلخ]؛ بل يلاحظ أن أسلوب معالجة الفصول من قِبل المؤلف جاءت بالطريقة الإنشائية المتواترة، والكتابة الإنشائية لا تتسق مع الآلية المتبعة في تأليف الكتب العلمية التي يتم فيها التدرج بذكر التعريف، فالخصائص، ثم الأهداف، وانتهاء بذكر النتيجة النهائية.

ويمكن كذلك الإشارة إلى جانب آخر في النقد السلبي؛ ألا وهو **عدم وجود كشاف للمصطلحات، والأعلام** – سواء في الهوامش، أو في آخر الكتاب– يعين القارئ على فهم مقصد المؤلف؛ حيث تتنوَّع مصطلحات الكتاب ما بين مصطلحات مركزية، ومصطلحات إثرائية. وينطبق هذا على الأعلام؛ حيث ينقسمون إلى أعلام أساسيين؛ وهم رواد النظرية النقدية، وعلماء مساهمين؛ وهم العلماء الذين ساهمت جهودهم الفكرية في ظهور النظرية النقدية؛ إذ

يؤدي غياب الشرح والتفصيل إلى اضطرار القارئ إلى الوقوف المتوالي، والبدء في القراءة والبحث عن المصطلحات والأعلام في الفضاء الشبكي؛ الأمر الذي قد يوقعه في فهم مغاير عن القصد الذي عناه المؤلف؛ نتيجة للتنوع المعلوماتي الموجود في فضاء الإنترنت.

ومن أهم الملاحظات الفنية العامة؛ ضعف اتساق أحجام المقاطع التعبيرية، فتارة يكون المقطع شبه صفحة، وتارة يكون ثلاثة أسطر، وكان من المستحسن أن يلتزم المؤلف بنسق معين؛ كأن لا تزيد الفقرة عن ستة أو سبعة أسطر، ولا تقل عن أربعة أسطر، كما أنَّ الكتاب خلا تقريبًا من أية أشكال، أو ورسومات توضح العلاقات بين عناوين الفصول والأفكار المتضمنة داخلها، والتي تساعد القارئ على الفهم، والربط، ويستثنى من ذلك بعض الصور الذي وضعها المؤلف. بقي أن نشير إلى ملمحٍ أخير في النقد العام؛ ألا وهو **وجود جملة من الملاحظات العلمية**؛ كعدم توضيح سبب العلة لبعض ما يتم إيراده، أو في الاقتصار على رواد بعينهم من رواد النظرية النقدية، وإغفال البعض الآخر، أو في وجود بعض التحيز الذي تم إدماجه بمعلومات مستفيضة، أو عدم التفصيل فيه بغاية إخفائه، كما أن المؤلف في أثناء نقده يكون في بعض المناحي النادرة ميالًا لأن يكون ناقلًا ومقلدًا أكثر من كونه ناقدًا.

ب. **النقد الخاص بشقيه الإيجابي والسلبي**: وهو التوضيح الدقيق لمثارات النقد العام في ثنايا الفصول بشكل محدد، بشقيه الإيجابي والسلبي، مع التركيز بشكل أكبر على الشق السلبي، وسيتم عرض الفصول مرتبة وفق ما جاءت في الكتاب، مع التنويه إلى أن النقد الخاص سيأتي محرَّرًا باقتضاب؛ وذلك سعيًا للإيجاز، ومن ثم سيكون النقد الخاص مقتصرًا على [مقدمة الكتاب، الفصل الأول، الفصل الثاني، الفصل الثالث]؛ وذلك وفق التالي:

مقدمة الكتاب؛ أجاد المؤلف في استفتاح الكتاب بملخص تعريفي عن النظرية النقدية؛ حيث عرض محتويات النظرية النقدية بصورة شبه شاملة؛ كالبدء بالتطور التاريخي، ومنطلقاتها الفكرية، وغيرها، والذي سبقت الإشارة إليه في الجزء الخاص بملخص الكتاب تحت عنوان: [مقدمة الكتاب]، إلا أن هناك عددًا من الملاحظات المهمة تتمثل في؛ عدم اتباع مصفوفة المعالجة العلمية: [الفهم، الوصف، الحجة، التحليل، التفسير، النتيجة]؛ فعلى سبيل المثال عرج المؤلف على المصادر الفكرية المؤثرة للنظرية النقدية، وهم العلماء المؤثرون، ثم انتقل للحديث عن أهم منطلقاتها الفكرية، ثم رجع مرة أخرى للحديث عن هذه المصادر المؤثرة بسرد علماء آخرين؛ مما خلق ضعفًا في الاتساق المنطقي للأفكار. يُلاحظ أيضًا أن المؤلف حاول التوسع في ذكر بعض التفاصيل التي لا تحتملها المقدمات التعريفية؛ مما أوقعه في توسع المعلوماتية، والمعلوماتية خطأ يقع فيه المؤلفون؛ حيث تتم الاستزادة من الحقائق المجزأة والمبعثرة دون محاولة الوصول لحقيقة مستنبطة تكون مفسرة لما تحتها، وكان يمكن تلافي ذلك من خلال الحديث عن مسمى الفصول وما ستعالجه من قضايا. كما أن غاية المؤلف من التأليف لم تتضح بشكل مباشر؛ بل جاءت عرضية في خلاصة المقدمة، وكان لا بد من التصريح بغاية المؤلف بشكل أكثر وضوحًا. يلاحظ كذلك أن

هذه المقدمة لم يسبقها تصدير للكتاب، سواء من المؤلف، أو المترجم، فغاب تبعًا لذلك عدم وجود أية إشارة عن ماهية الجمهور المستهدف للكتاب.

بعد ذلك **ننتقل للفصل الأول**؛ حيث أتقن المؤلف استفتاح الفصل في التأصيل لكيفية نشوء مدرسة فرانكفورت، وذِكر أهم الرواد الأساسين للنظرية النقدية، إلا أن الباحثة وقفت على بعض الملاحظات السلبية التي تمثلت في؛ عدم إيراد المؤلف لعلة تواري الجيل الأول من رواد مدرسة فرانكفورت، فهل كان نتيجة لضغوط سياسية، أو ظهور مقاومة فكرية من قِبل أحزاب مناوئة، أو حركات جماهيرية، أو سبب آخر؟ كما يلاحظ أن العناوين الفرعية [الحلقة الداخلية، كلمة أخيرة] لم تحتوِ على صياغة دلالية أو استفهامية على غرار: [في كيفية نشأة الحلقة الداخلية]، أو [تعقيب أخير]؛ بل اكتست بالصيغة الإنشائية التي لا تُسهم في استدراك القارئ لما ينضوي تحتها. أيضًا يُلاحظ هنا إغفال المؤلف الإشارة إلى وجود طورٍ ثالث لمدرسة فرانكفورت، وهم الجيل الثالث المعاصر الذي يترأسه أكسل هونيث؛ وذلك بالاستناد إلى ما ذكره مرجع (بومنير، ٢٠١٠، ص. ١٠). كما أن المؤلف في عرضه لرواد المدرسة لم يسر بمتوالية واحدة، فنجد أنه لم يشر إلى النشأة التربوية لماركوزه. كما يلاحظ وجود صياغة غير دقيقة لنظرية الفعل التواصلي لهابرماس؛ حيث أوردها المترجم بـ[التواصل غير المشوه] في حين أنها تُعرف تحت مسمى [أخلاقيات المناقشة أو أخلاقيات المخاطبة أو أخلاقيات التواصل]؛ وذلك وفقًا لما أشار (جمال، ٢٠١٦، ص. ٧٣-٧٥). كما غاب عن المؤلف وضع مسرد تفصيلي للمصطلحات المركزية؛ مثل: [الحلقة الداخلية، نقد التنوير، اللحظة المادية، الروح الإنسانوية، المادية التاريخية، الترغيب القمعي، الجدل السلبي، الحركات الجماهيرية]، وكذلك المصطلحات الإثرائية [الفيمونولوجية، الاشتراكية العلمية، النفي، اللاهوية]، ومن الأعلام [فرويد].

وفي **الفصل الثاني**؛ يحسب للمؤلف الإلمام بالتطور الذي حدث في المنهج الفكري للنظرية النقدية؛ سواء من حيث الحديث عن نشأة النظرية النقدية، مرورًا بمراحلها الأساسية الثلاث، ثم ذكر أهم روادها وإسهاماتهم الفكرية، والتعريج على أصولها المكونة لها، وانتهاء بأهم الفلاسفة المؤثرين عليها، إلا أن هذا الإلمام شابه شيء من النقص في بعض جوانبه العلمية؛ إذ كان لا بد من الإشارة في استفتاح الفصل إلى الانقسام الحاصل في الفكر الماركسي؛ وذلك بواسطة التفريق بين نهج [ماركس الشاب] الذي سلك المنهج النقدي، ونهج [ماركس الشيخ] الذي ينحو نحو العلمية، وهو ما أشار له مرجع (كريب، ١٩٩٩، ص. ١٣)، وغياب هذا الاستفتاح يحمل القارئ إلى الاعتقاد بأن رواد مدرسة فرانكفورت خرجوا بماركسية جديدة، في حين أنها ترجع لإحدى مراحل تفكير ماركس، وهي مرحلة الشباب، أيضًا يلاحظ أن المؤلف دائمًا ما يهمل رواد الجيل الثالث من مدرسة فرانكفورت، وخاصة رائدها هونيث، وإسهامه الفكري في فلسفة الاعتراف بالآخر، وقد أصَّل مرجع (بومنير، ٢٠١٠، ص. ١٠٧-١٧٧) لهذا الامتداد الثالث في مدرسة فرانكفورت. كما أغفل المؤلف ثلاثة فلاسفة كان لهم تراث فكري أسهم في نشأة النظرية النقدية، وهم: [هيجل،

شوبنهاور، زيميل] وذلك بالاستناد إلى ما ذكره مرجع (مكاوي، ٢٠١٧، ص ص. ١٨-١٩). بقيت الإشارة إلى غياب شرح المصطلحات المركزية؛ مثل: [الانتفاضات الراديكالية الأوروبية، مبدأ الكل، الثقافة الجماهيرية، أنطولوجيا الأوضاع الخاطئة]، وكذلك المصطلحات الإثرائية: [البلشفية، المادية، الوضعية، الميتافيزيقا، الأيديولوجية، التغيير الاجتماعي، اللاوعي، السريالية، التعبيرية، الرومانسية، الباروك، الرمزية]، وصولًا لبعض الأعلام: [جراميتشي، منهايم، نيتشه، كلي، فايبر]. مع التنويه إلى غياب العناوين الفرعية المساعدة على التنظيم المعرفي للفصل؛ ومن تداعيات غياب العناوين الفرعية نقد المؤلف للنظرية النقدية الذي تم استعراضه عرضيًّا في خاتمة الفصل. كما أن هذا التعقيب النقدي تظهر فيه إشكالية صياغة من قِبل المترجم جعلت مقصد المؤلف مبهمًا.

ننتقل بعد ذلك **للفصل الثالث**؛ والذي راعى فيه المؤلف أولوية منطلق الاغتراب والتشيؤ كأولى الركائز التي تقوم عليها النظرية النقدية، فمن باب الجواز يمكن القول بأن النظرية النقدية ليست سوى رد فعل لحالة الاغتراب والتشيؤ التي عاشها الإنسان إبان نشأة المجتمعات الصناعية، وبالرغم من أن المؤلف حاول معالجة هذين المفهومين من نواحي التأصيل والاستطراد لمعانيهما عند الفلاسفة؛ فإن هناك بعض الإشكالات في طريقة معالجة الفصل؛ مثل كيفية ظهور المصطلح وتأطيره للتداول في الاستعمال النقدي؛ حيث أشار هجرس (٢٠٠٤، ص. ١٧٧) إلى أن مصطلح [التشيؤ] ظهر على يد لوكاتش الذي استنبطه من مصطلح آخر نشأ على يد ماركس وهو [التشيؤ السلمي] (أورد في: مهدي، ٢٠١٨، ص. ١٥٢)؛ وهذا مما أغفله المؤلف، ومن الإشكالات الأخرى إشارة المؤلف إلى معنى الاغتراب والتشيؤ لدى الفلاسفة، سواء من رواد مدرسة فرانكفورت، أو من خارجها، وإغفاله لإحدى الرؤى المعتبرة في مدرسة فرانكفورت؛ ألا وهي رؤية ماركوزه في التشيؤ، والتي يلخصها في مؤلفه [الإنسان ذو البُعْد الواحد]؛ حيث عنى بها أن الإنسان المعاصر –وفي ظل سيطرة الآلة على المجتمعات الصناعية– لم يبق له سوى بعد واحد مهيمن على حياته ألا وهو البُعد التقني. بعد ذلك نقل المؤلف عن ماركس وهيغل حل معضلة الاغتراب والتشيؤ في سردية [يتطلب إنهاء الاغتراب إنهاء التشيؤ، وهذا يتطلب الوعي] وفي هذا نوع من تسطيح المعالجة؛ فالمؤلف في مستهل الكتاب أشار إلى أن غاية التأليف عنده تقوم على توجيه النقد الإيجابي للنظرية النقدية، إلا أنه في هذا الموضع نجده ناقلًا ومقلدًا، فلقد أصبح العالم أكثر إدراكًا لحجم الأضرار الاجتماعية والنفسية والصحية والبيئية للمجتمعات الصناعية، إلا أن أصحاب المصلحة من السياسيين ورواد الأعمال وصناع الثقافة ماضون في توسيع أنماط الاستهلاك على حساب صحة الإنسان العقلية، وتفكك نظام الأسرة، والكوارث البيئية، وبالتالي لا بد من وجود مقاومة ممنهجة لها وجود ميداني على الأرض لمواجهة الاغتراب والتشيؤ، وعدم قصر الحل على مجرد الوعي به. كما يلاحظ أن المؤلف قد يكون لديه نوع من التحيز الخفي في عدم الإشارة إلى العلاقة بين الخلفية اليهودية لرواد مدرسة فرانكفورت وشعورهم بالاغتراب والتشيؤ الذي تكوَّن لديهم أصالة باعتبار أنهم يهود في مجتمعٍ ألماني نازي، وهو ما نوه إليه (عاشور، د.ت). ومن المصطلحات المركزية الغائبة عن الشرح: [التفكير الأداتي، العقلانية الأداتية، البنية

المغتربة]. ومن المصطلحات الإثرائية: [الرأسمالية، الطليعة الشيوعية، الاشتراكية]، كما يلاحظ أن العناوين الفرعية: [جذور الشقاء، نهاية العالم والميتافيزيقيا، النظر إلى الوراء] فيها صبغة أدبية، وكان يمكن تغييرها بعناوين تنحو للعلمية على غرار: [في نشأة الاغتراب] أو [تداعيات التشيؤ والاغتراب على بنية المجتمعات الحديثة].

رابعًا: الخاتمة:

رأي الباحثة في الكتاب؛ يُعدُّ هذا الكتاب من طبقات الكتب الرفيعة؛ فهو كتاب أصولي، وإرشادي في مجال النظرية النقدية، ويُعزى ذلك إلى سعة المعرفة التي تميز بها المؤلف في مجال تطور التاريخ الفلسفي الغربي؛ الأمر الذي جعل الكتاب محيطًا ومجملًا في ذات الوقت في عرضه للنظرية النقدية؛ إذ يتسم الكتاب بالثراء المعرفي الذي يفتح أمام القارئ آفاقًا جمة في استكشاف حقل الفلسفة النقدية. كما أنه يعمل على تزويد الباحث التربوي بكم معرفي متنامٍ من الجانب الفلسفي، والذي لا غنى عنه في البناء العلمي للمتخصص التربوي، ويخلق إلهامًا لدى القارئ في استنباط الأفكار البحثية ذات التوجهات النقدية في المجال التربوي، ويُثير تساؤلات جوهرية عن سببية غياب التيارات التربوية النقدية ذات المرجعية الإسلامية غير المتأثرة بالأنساق التربوية الغربية في الوطن العربي. كما أنه يُثير تساؤلات أخرى عن كيفية استلهام رواد التربية النقدية المقاومة [كباولو فيريري: تربية التحرير]، و[إيفان إيليتش: التربية اللامدرسية] لجذور النظرية النقدية، وإعادة توظيفها في سياقاتهم المجتمعية. وفي معرض هذه الخاتمة لا بد من الإشارة إلى الخصوصية التي يمتاز بها الكتاب؛ نظرًا لكونه كتابًا مختصًّا بالدرجة الأولى، ومترجمًا من الدرجة الثانية، وبالتالي فهو لا يناسب القراء غير المتخصصين؛ وذلك لما يتسم به الكتاب في ذكر تشعبات وامتدادات النظرية النقدية، وقد سبقت الإشارة في [نقد الكتاب] إلى أهمية أن تسبق قراءة الكتاب مراجع تمهيدية مؤهلة لقراءته. وبالرغم من الصعوبة التي تُحيط بالكتاب؛ فإنه مناسب لأن يكون مبحثًا أساسيًّا في توصيف برامج الدراسات العليا للتخصصات التربوية؛ وذلك لضرورة التجديد الفكري في العقل العربي التربوي، والاستفادة من نواتج العلم الحديث، وكيفية توظيفها في حل معضلاتنا التربوية، وبما يؤدي إلى تعميق الفهم للعالم المحيط ومحركاته الفلسفية الدافعة له. بقي أن نشير إلى أن النقد الذي وُجِّه للكتاب هو من باب المناقشة التحليلية، والمداولة النقدية، وليس أحكامًا تقريرية على الكتاب.

قائمة المراجع:

أولًا: المراجع العربية:

برونر، ستيفن. (٢٠١٦). *النظرية النقدية: مقدمة قصيرة جدًا* (ترجمة: سارة عادل). مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. (العمل الأصلي نشر في ٢٠١١).

بومنير، كمال. (٢٠١٠). *النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيت*. الدار العربية للعلوم ناشرون.

جمال، خن. (٢٠١٦). الحوار والتواصل في أخلاقيات المناقشة عند يورغن هابرماس. *مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية*، ٢ (١)، ٧٣-٨٦.

حمد، عبدالله. (٢٠١٧). *اتجاهات النقد العربي القديم*. دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

حمد، عبدالله. (٢٠١٧). *مناهج النقد الأدبي: السياقية والنسقية*. دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

الطحان، خالد. (٢٠١٥). النقد *العلمي: الأهمية والضوابط والآداب والآثار*. موقع شبكة الألوكة/https://www.alukah.net/literature_language/0/82427

عاشور، مصطفى. (د.ت). *مدرسة فرانكفورت: النشأة والمرتكزات*. https://islamonline.net/مدرسة-فرانكفورت-النشأة-والمرتكزات/

كريب، إيان. (١٩٩٩). *النظرية الاجتماعية: من بارسونز إلى هابرماس* (ترجمة: محمد غلوم). عالم المعرفة. (العمل الأصلي نشر في ١٩٩٢). في سلسلة كتب ثقافية شهرية للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.

مكاوي، عبدالغفار. (٢٠١٧). *النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت*. مؤسسة هنداوي.

مهدي، عبير. (٢٠١٨). مدرسة فرانكفورت النقدية: الأسس والمنطلقات الفكرية. *مجلة العلوم السياسية*، ٢٠١٨ (٥٥)، ١٢٧-١٥٦.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Fennell, C., & Gill, D. (2013). Your paper, your way—Now available to all journals. *Update, 39, 6-8.*

Gastel, B., & Day, R. A. (2022). *How to write and publish a scientific paper* (9th Ed). Bloomsbury Publishing USA.

Lee, A., Green, B., Johnson, C., & Nyquist, J. (2010). How to write a scholarly book review for publication in a peer-reviewed journal: a review of the literature. *Journal of Chiropractic Education, 24(1),* 57-69.

Mack, C. (2012). How to write a good scientific paper: title, abstract, and keywords. *Journal of Micro/Nanolithography, MEMS, and MOEMS*, *11*(2), 020101-020101.